

اللّهج الاجتماعي ورصد الاجتماعي عبر اللغوي في النصوص

عند "بيير.فاليري. زيما" وكلود دوشي

*Access to social through linguistic in the sociolect for
Pierre Valerie Zima and Claude Duchet*

د. ويزة غربي*

تاريخ النشر: 2019/12/25	تاريخ القبول: 2019/11/30	تاريخ الإرسال: 2019/10/30
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

ينظر "بيير.فاليري.زيما" إلى النص باعتباره نسقا لغويا تتقاطع فيه المصالح الاجتماعية والطبقية المختلفة، ترتبط فيه المسائل الاجتماعية بالأيدولوجية من خلال المستوى المعجمي الذي يتجسد في "اللّهج الاجتماعي" (sociolect)، فتصبح المفردة التي وُضعت من أجل التواصل، كاشفة عن القضايا الاجتماعية وعن الأيدولوجيا، إذ يستدرك "بيير زيما" استبعاد "لوسيان غولدمان" المستوى اللغوي في تحليل الأعمال الأدبية، إذ يعتبر أن الرواية تحيل مباشرة إلى الواقع الاجتماعي، بينما هي مجموعة من البنى الدلالية والتكيبية السردية التي تتفاعل مع القضايا الاجتماعية والاقتصادية على مستوى اللّغة، ويأتي الحديث عن اللّهج الاجتماعي أو السوسيو لهج في إطار المنهج السوسيونصبي الذي ظهر على يد "بيير زيما"، وجاء بديلا عن سوسولوجيا الأدب، لربط العلاقة بين الأدب والمجتمع عن طريق اللّغة، بدل الانعكاس أو رؤية العالم.

Abstract:

Pierre Valerie Zima views the text as a linguistic format in which different social and class interests intersect, Social issues are related to ideology through the lexical level embodied in the "social dialect" (sociolect), The word devised for communication reveals social issues and ideology. Pierre

المؤلف المرسل: د ويزة غربي ouizagharbi@yahoo.fr

* جامعة البليدة2. والبريد الإلكتروني: ouizagharbi@yahoo.fr

Zima understands Lucien Goldman's exclusion of the linguistic level in the analysis of literary works, Considering that the novel refers directly to social reality, while it is a set of semantic and syntactical structures that interact with social and economic issues at the language level, The social dialect, or socio-dialect, comes in the framework of the sociological approach that emerged at the hands of Pierre Zima, an alternative to the sociology of literature, to link the relationship between literature and society through language, rather than reflection or vision of the world.

*** **

مقدمة

إنّ البحث في العلاقة التي تربط الجنس الروائي بالسّياق الثقافي المنتج له، جعلت من التحليل السوسيونصي يفتح على السيميائية والمناهج النصّية، فتراجعت سلطة المرجع في مقابل سيطرة البنية اللّغوية، وأصبحت الكلمة هي الوسيلة للكشف عن صراع القوى الاجتماعية في الخطاب الروائي، من أجل الوصول إلى النظام الاجتماعي الموجود داخل النّص كبنية صغرى حاضرة، تكشف عن بنية أكبر هي بنية المجتمع، ويعتبر المنهج "السوسيونصي" ثمرة لتداخل علم الاجتماع بالأدب، ويسعى إلى إثراء الأدب بدراسة أكثر عمقا، بالجمع بين ما هو داخل النّص وخارجه، فكيف يتم التفاعل بين البنية النصّية الداخلية والبنية الاجتماعية التي أنتجته؟

1- تعريف المقاربة السوسيونصية

يهتم المنهج السوسيونصي بالطبيعة المزدوجة للتّصوص الأدبية، باعتبار حملتها الاجتماعية والتاريخية؛ دون إغفال جانبها اللّغوي "ذلك أن إدماج المؤلف بعضا من عناصر اتجاهين نقديين هما السيميائية...وكانت تعنى باللغة وحدها من دون المجتمع، وعلم الاجتماع الذي كان يعنى بدراسة المجتمع من دون اللّغة والأدب، أفضى إلى علم اجتماع النّص أو النقد السيميائي الأدبي" (1) لتصبح النصوص الأدبية بذلك بناءً اجتماعيا نصّيا لغويا في الوقت نفسه، تأخذ بعين الاعتبار " دور الكلام والكلمة في الصنيع الأدبي" (2)

ويكون المنهج السوسيونصبي بذلك قد تدارك ما أغفله "غولدمان"، فظهر أكثر استنطاقاً للنصوص، بإعادة الدلالة إلى النصوص، واسترجاع المتخيل لوظيفته الاجتماعية، عبر الاهتمام باللهج الاجتماعي (sociolecte) للمجتمع النصي، بما يكشف عن اجتماعية النص (socialité du texte) فالسوسيونصية مقارنة تُلغي التقسيم التقليدي بين النَّص والسيِّاق، وتقوم بتحليل الكيفية التي من خلالها تُبني اللُّغة الواقع بدل عكسه، فالبعد الاجتماعي الذي هو صلب الدراسة السوسيونصية، لا يظهر دوماً من خلال التَّيمة فقط، كما هو الحال في سوسولوجيا الأدب، الذي يهتم بما هو خارج النص، بل يتجسّد كذلك من خلال اللُّغة، وذلك بإنشاء خطاب اجتماعي يحيل إلى داخل النص وليس خارجه، وبالتالي يتم البحث عن الدلالة الاجتماعية للنص في إطار السوسيونصية، من خلال الجمع بين النَّص كعالم مجتمعي حكائي أي بنية سوسيونصية والواقع الاجتماعي، من أجل الوصول إلى البنية الاجتماعية واللِّسانية المُتضمّنة داخل النَّص (البنية السوسيونصية)، وهو ما ميّز الطبيعة الثنائية لمنهج الدراسة عند "بييرزيم"، الذي جمع بين الوظيفة التّواصلية للنّص المتصلة بالبعد السوسولوجي، ووظيفته النصية المرتبطة ببعده اللِّساني، ويتجسّد الجانب السوسولوجي في التعامل مع العمل الأدبي في بعده الثقافي باعتبار اجتماعيته، ويتجسّد الجانب النصي فيه باعتبار لغته؛ التي لم تعد حيادية بل تعبّر عن إيديولوجية الطبقات الاجتماعية النصية.

2- التحليل السوسيونصي واستنباط المعنى الاجتماعي في النصوص

السوسيونصية مقارنة "تُلغي التقسيم التقليدي بين النَّص والسيِّاق، وتقوم بتحليل الكيفية التي تُبني من خلالها اللُّغة الواقع بدل عكسه" (3) فالبعد الاجتماعي الذي هو صلب الدراسة السوسيونصية، لا يظهر دوماً من خلال التَّيمة فقط، كما هو الحال في سوسولوجيا الأدب، الذي يهتم بما هو خارج النص، بل يتجسّد كذلك من خلال اللُّغة، وذلك بإنشاء خطاب اجتماعي يحيل إلى داخل النص وليس خارجه، وبالتالي يتم البحث عن الدلالة الاجتماعية للنص في إطار السوسيونصية، من خلال الجمع بين النَّص كعالم

مجتمعي حكاوي أي بنية سوسيونصية، والواقع الاجتماعي، فتحدد العلاقة بين النص الأدبي والواقع الاجتماعي، انطلاقا من وجهة نظر توفيقية بين ما هو نصّاني وما هو اجتماعي، حيث تصبح البنية الاجتماعية متضمّنة داخل البنية النصّية، وهنا يتم التعامل مع الجانب اللّفظي اللّساني في النصوص، فتصبح اللّغة وسيطا بين النصّ والمجتمع، ويكون بذلك قد تجاوز آلية العلاقة التي تربط النصّ بظروفه الخارجيّة، بغية الوصول إلى ما يُثبت "اجتماعية النص" انطلاقا من مؤشرات نصيّة داخلية، وتدخل كل هذه الإجراءات في إطار المدرسة السوسولوجية بشقّها الشكليّ والبنوي.

ويدرجه مؤسسه "بيير زيمّا" ضمن الأدوات الجديدة للأدب لأنه "يمتلك أسسا واضحة لمنهجية دون انفلاق..." (4) خلافا للمقاربات المنبثقة عن اللّسانيات، التي تركز في تحليلها للنصوص على بنياتها الداخليّة "دون التركيز على عليّة خارجية... من أجل تكوين بناءات مكثفية بنفسها لا تحتاج إلى الرجوع إلى أيّة عناصر خارجيّة" (5) وقد أدى هذا الانفلاق إلى ظهور اتجاهات أقل صرامة" ترى أن دراسة البنى الداخليّة لن تكون مثمرة إلا إذا تمّ الرّبط بينها وبين العلاقات المحيطة بها، وسيؤدّي ذلك إلى ميلاد المقاربات الدينامية، القائمة على التركيب بين البنيوية والعلوم الإنسانيّة المختلفة" (6) وهو ما انطلق منه "بيير زيمّا" خاصّة مما وصلت إليه الدّراسات النصّية، ولكنّه يُقدّم مفهوما مختلفا للنصّ، فهو لا يرى فيه بنية لغوية مُغلقة، كما كان سائدا عند الشكليّين والبنويين، وإنما يراه كـ "كيان ملموس وحي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصّة، ولكنه يحمل في هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعيّة التي يعيش في إطارها" (7) فهو يلتزم بمنهج يضفي الصبغة الاجتماعيّة على النصّ، وهذا ما يختلف فيه المنهج الوسيونصيّ عن المناهج النقديّة ذات المرجعيّة الاجتماعيّة وحدها، كالنقد الماركسيّ والبنويّة، ويدخل هذا المنهج في إطار النقد الاجتماعيّ الذي عرف تطورا في مرحلة ما بعد البنيوية، التي تحرّز فيها النصّ من قيود الشكليّانية والبنويّة، وفي ذلك تجاوز "لحدود الدّراسات اللّسانيّة إلى الدّراسات العبر لسانية، أو ما يُعرف بالتداوليّة التي تدرس البنى اللّغوية المستعملة والجارية بين

المتخاطبين" (8) مما أتاح للمنهج السوسيونصي أن يعيد الاعتبار للنص الروائي بمستوياته اللغوية، لتجمع بين بنياته اللغوية والسردية والدلالية وسياقه الاجتماعي. ويُرجع "بيير زيمّا" الفضل في "إقامة رابط ألسني بين الأدبي والاجتماعي... إلى الشكلايين الروس لاسيما "تينيانوف" (Tynianov)... الذي يُشَدّد على الطابع الألسني لهذه "العلاقة المتبادلة": "فالحياة الاجتماعية" تقيم صلة متبادلة مع الأدب من خلال مظهرها الكلامي، في المقام الأول... (9) مما ساهم في انفتاح المناهج الاجتماعية على البعد اللغوي للنصوص، فتمّ بذلك التراجع عن "... سلطة المرجع والإعلاء من البنية اللغوية، التي تمّ إقصاؤها في المناهج اللوكاتشية والغولدمانية، وتحرير سوسولوجيا الأدب من التصوّرات الفلسفية والمثاليات الهيكلية، لإضفاء البعد الإجرائي في المقاربة السوسولوجية للنص الروائي" (10) فأصبح الكشف عن القوى الاجتماعية المتصارعة في الخطاب الروائي، يمرّ عبر الكلمة التي أصبحت وسيلة هامة لكشف هذا الصّراع في النّص الروائي، وفي هذا تجاوز لحدود الدراسات اللسانية إلى الدراسات العبرلسانية، أو ما يُعرف بالتداولية التي تدرس البنى اللغوية في حالة تداولها عند المستعملين.

3- سوسولوجيا النص الأدبي من حوارية باختين إلى الوضعية السوسولوجية السانية

عند "بييرزيمّا"

ظهرت "سوسولوجيا النّص الأدبي" (sociologie du texte) على يد "ميخائيل باختين" (Mikhail Bakhtine) (1895-1975) الذي اهتمّ بالعناصر اللغوية النصية السردية الأيديولوجية، كأنساق منتجة لدلالات الخطاب في النّص، وساهم في إرساء قواعد سوسولوجيا الأدب " ويعود له الفضل وفريقه في إحداث علم اجتماع النّص... ذلك أنّ العنصر الأساس في نظرية باختين، هو فكرته القائلة بأن غالبية ملفوظات الخطاب، لا يمكن أن تُدرك إلا في سياق حوارية" (11) إذ يجعل من الكلمة التي يعتبرها ظاهرة أيديولوجية، أهم وسيلة للكشف عن صراع الطبقات في النّص، وتدخل هذه الأيديولوجية إلى النصوص باعتبارها نصوصا وخطابات، ومنها تتحوّل إلى لهج اجتماعي.

تطوّرت حوارية باختين على يد "بيير زيمّا" لتظهر في مقولة جديدة أطلق عليها "الوضعية السوسيولسانية، حيث سعى عبرها إلى تدارك الهفوات التي وقعت فيها البنيوية التكوينية، من خلال إبداء الاهتمام أكثر "بدلالة البعد الاجتماعي على مستوى الدوال النصيّة، التي تُشكّل البنية الجمالية الاجتماعية للنص الأدبي" (12) وتستفيد هذه القراءة من حقول معرفية أخرى كالسيميولوجيا الاجتماعية(*) علم الدلالة، من أجل فهم عميق للنص الأدبي، كما استفاد في حديثه عن دور المفردات المعجمية، المُعتمَد عليها في تحليل النصوص كخطابات اجتماعية، بالبحث عن اجتماعيتها في صميم لغتها بدل البحث عنهما في سياقهما، وأسند للكلمة دورا اجتماعيا و"رفض الثنائية السوسيرية لغة/كلام (langue / parole) التي تُفرغ الممارسة اللسانية من محتواها، ويقر بالطبيعة الاجتماعية للعلامة، ويؤسس بذلك للسانيات تلفظية كظاهرة اجتماعية وليست فردية" (13) عكس دي سوسير الذي ركّز على بعدها النفسي، وهو بذلك يتفق مع "باختين" الذي ينفي وجودا للكلمة أو التلفظ بعيدا عن السياق الاجتماعي.

وقد كان "للوسيان غولدمان" الزيادة في تحديد العلاقة بين النص و الواقع الاجتماعي، فلا وجود عنده لعلاقة انعكاسية بين البنية النصيّة والبنيات الاجتماعية، من وجهة نظر البنية التكوينية، التي تؤمن بالتناظر بين البنيات وليس انعكاسها، انطلاقا من رؤية العالم كأهم إجراء يحيل إلى الجماعة الاجتماعية، في المنهج البنوي التكويني في توجيهه الاجتماعي، خلافا للسوسيوولوجيا الماركسية التي ترى بأن الأدب انعكاس للواقع، و يرى غولدمان بأن المجتمعات "التي تسود فيها الفعالية الاقتصادية، يفقد الوعي الجماعي بالتدرج وجوده الفعّال ويميل إلى أن يصير مجرد انعكاس" (14) فإذا كان المنهج الاجتماعي في النقد الغربي؛ يَعتَبِرُ الأدب انعكاسا مباشرا لما يقع في المجتمع، فإن البنيوية التكوينية؛ التي تُعد مرحلة لاحقة للمنهج الاجتماعي، تُعتد بالتناظر بين النص والواقع، وليس بانعكاسه في النص، وهو ما يشكل جوهر المنهج البنوي التكويني، الذي يقدم قراءة للنصوص تستحضر ما هو نصّي، ولا تهمل ظروفه الاجتماعية والتاريخية، بحكم أن كل

إبداع في ذات الوقت ممارسة اجتماعية، وبالتالي إنتاج أيديولوجي. وتُعتبر أفكار "غولدمان" أساسية في التمهيد للمنهج السوسيو نصي، و"تبدو رؤية زيمنا النقدية قد تجاوزت كل من البعد الانعكاسي والتناظري، ليحتكم في النهاية إلى البعد التفاعلي لمختلف الأنساق اللغوية والاجتماعية والأيدولوجية...ضمن الوضعية السوسيو لسانية" (15) ورغم توجه "غولدمان" الاجتماعي ودعوته إلى الاهتمام باجتماعية الأدب وفنيته، كان يتعامل "مع نصوص أدبية باعتبارها حاملة لمدلولات اجتماعية وتاريخية لا غير، في حين أنها في المقام الأول نصوص أدبية قائمة على تشكيل لغوي نصي اجتماعي بامتياز" (16) لقد حاول النقد السوسيو نصي الذي يهتم بالطبيعة المزدوجة للنصوص الأدبية، باعتبار حملتها الاجتماعية والتاريخية دون إغفال جانبها اللغوي "ذلك أن إدماج المؤلف بعضا من عناصر اتجاهين نقديين هما السيميائية...وكانت تعنى باللغة وحدها من دون المجتمع، وعلم الاجتماع الذي كان يعنى بدراسة المجتمع من دون اللغة والأدب، أفضى إلى علم اجتماع النص أو النقد السيميائي الأدبي" (17) لتصبح النصوص الأدبية بذلك بناءً اجتماعيا نصيا لغويا في الوقت نفسه، تأخذ بعين الاعتبار "دور الكلام والكلمة في الصنيع الأدبي" (18) ويكون المنهج السوسيو نصي بذلك قد تدارك ما أغفله "غولدمان"، فظهر أكثر استنطاقا للنصوص، بإعادة الدلالة إلى النصوص، واسترجاع المتخيل لوظيفته الاجتماعية، عبر الاهتمام باللهج الاجتماعي (sociolecte) للمجتمع النصي، بما يكشف عن اجتماعية النص (socialité du texte)..

4- المنهج السوسيو نصي وتداخل الاجتماعي باللساني

يعتبر المنهج "السوسيو نصي" ثمرة لتداخل علم الاجتماع بالأدب، ولا يمكن إغفال دوره في إثراء الأدب بدراسة أكثر عمقا، بالجمع بين ما هو داخل النص وخارجه، ويعتبر ضمن الأدوات الجديدة لتحليل النصوص، وقد أشار إليه سيّد البحراوي في مقدمة كتاب "بييرتسيما" (النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي)، الذي أشرف على مراجعة ترجمته فيقول بأنه "يمتلك أسسا واضحة لمنهجه دون انغلاق، بل بقدره منفتحة على

إكمال منهجه وإغنائه وتطويره دائما بما يتناسب معه " (19) خلافا للمقاربات التي انبثقت عن اللسانيات، التي تركز في تحليلها للنصوص على بنيتها الداخلية "دون التركيز على علية خارجية... من أجل تكوين بناءات مكتفية بنفسها لا تحتاج إلى الرجوع إلى أية عناصر خارجية" (20) وقد أدى هذا الانغلاق إلى ظهور اتجاهات أقل صرامة" ترى أن دراسة البنى الداخلية لن تكون مثمرة إلا إذا تمّ الرّبط بينها وبين العلاقات المحيطة بها، وسيؤدي ذلك إلى ميلاد المقاربات الدينامية، القائمة على التركيب بين البنيوية والعلوم الإنسانية المختلفة" (21) وهو ما انطلق منه "بييرزيم"، خاصة مما وصلت إليه الدّراسات النصيّة، ولكنه يُقدّم مفهوما مختلفا للنصّ، فهو لا يرى فيه بنية لغوية مُغلقة، كما كان سائدا عند الشكلانيين والبنويين، وإنما يراه كـ "كيان ملموس وحي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصة، ولكنه يحمل في هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش في إطارها" (22) فهو يلتزم بمنهج يضفي الصبغة الاجتماعية على النّصوص، وهذا ما يختلف فيه المنهج السوسيونصي عن المناهج النقدية ذات المرجعية الاجتماعية وحدها، كالنقد الماركسي والبنويية، ويدخل هذا المنهج في إطار النقد الاجتماعي الذي عرف تطورا في مرحلة ما بعد البنيوية، التي تَحَرَّرَ فيها النص من قيود الشكلائية والبنويية، وفي ذلك تجاوز" لحدود الدراسات اللّسانية إلى الدّراسات العبرلسانية، أو ما يُعرف بالتداولية التي تدرس البنى اللّغوية المستعملة والجارية بين المتخاطبين" (23) مما أتاح للمنهج السوسيونصي أن يعيد الاعتبار للنص الروائي بمستوياته اللّغوية، لتجمع بين بنياته اللّغوية والسردية والدلالية وسياقه الاجتماعي مما ساهم في انفتاح المناهج الاجتماعية على البعد اللّغوي للنصوص، فتمّ بذلك التراجع عن "... سلطة المرجع والإعلاء من البنية اللّغوية، التي تمّ إقصاؤها في المناهج اللوكاتشية والغولدمانية، وتحريير سوسولوجيا الأدب من التصدّرات الفلسفية والمثاليات الهيكلية.

5- النص خطاب اجتماعي عند "بييرزيم"

تُعتبر الوضعية السوسيو لسانية للنص، أهم المقولات الإجرائية (24) التي يقوم عليها المنهج السوسيو نصي، في دراسة العلاقة التي تربط النص بالمجتمع، "في سياق مزدوج اجتماعي ولساني تتموضع فيه النصوص" (25) وتنصب الدراسة التي تبحث في هذه العلاقة من وجهة نظر سوسيو نصية عند "بيير زيمما"، على معرفة كيفية ظهور المشاكل الاجتماعية، ومصالح الجماعات، وكيفية النطق بها على المستوى التركيبي، السيميائي، أي معرفة كيف يتفاعل النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة، وهو السؤال الذي طرحه "بيير تسيما" كنقطة انطلاق لعلم اجتماع النص الأدبي، من أجل الوصول إلى معرفة المشاكل الاجتماعية والايديولوجية السائدة في مجتمع معين، في مرحلة تاريخية محدّدة عبر مفردات اللغة، وهذا الدور الذي أسنده علم اجتماع النص للمفردات المعجمية، غايته الوصول إلى المشاكل الموجودة في المجتمع، عن طريق الجمل والتراكيب المكونة للنصوص. هذا بالنسبة للوسيلة التي ينطلق منها المنهج السوسيو نصي لتحليل النص كخطاب اجتماعي، أما بالنسبة للهدف منه فهو كما حدّده كلود دوشي، البحث عن " الاجتماعية " (Socialite) في صميم لغة النص، بدلا من البحث عنها في سياقه، حتى نتعرّف على المجتمع في ماضيه وحاضره، من خلال مفهوم مجتمع النص، الذي جاء به "كلود دوشي" وهو من المفاهيم المهمة التي يقوم عليها منهجه السوسيو-نقدي. وتتم هذه الدراسة إجرائيا عبر المراحل التالية:

أ- رصد البنى الاجتماعية المكونة لمجتمع النصين: إذ تعطي بنيات مجتمع النص صورة عن واقع اجتماعي ساد في تلك الفترة، وبهذا يصبح النص مُصوّرًا لمرحلة تاريخية معينة، تعكس وضعًا اجتماعيًا ووضعًا لغويًا محددًا حسب "بيير زيمما"

ب- دراسة اللهج الاجتماعي كبنية لسانية: إنّ ما يصدر عن هذه الطبقات من لغة يُطلق عليه "بيير زيمما" و"كلود دوشي" السوسيو لَهَج (sociolecte) ويُشكّل الجانب الذي يرتبط فيه الاجتماعي باللغوي، إذ يستند علم اجتماع النص لربط النص الأدبي بسياقه

الاجتماعي، على تقديم العالم الاجتماعي النصّي كمجموع لغات جماعية، تُعرف بالخطاب الاجتماعي أو السوسيوولوج

ج- الوقوف على تفاعل القضايا الاجتماعية مع اللغة على المستوى التركيبي (الخطابي) والدلالي: إنّ تحديد اللّهجات الجماعية التي يستند إليها "علم اجتماع النّص" لربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي، يهتم بالبحث عن العلاقات الاجتماعية داخل البنى النصيّة، إذ دعا "بييرزيمّا" إلى "تحليل الخطاب اللغوي أو اللغوي/الاجتماعي، أو اللّهجات الاجتماعية في النّص على أساس أنها بنى اجتماعية إذ يقول: "إن علم اجتماع النّص عليه أن يتجاوز حدود الخطاب الجمالي (الفلسفي) وتقديم المستويات النصيّة المختلفة، كبنى لغوية واجتماعية في نفس الوقت" (26) تحمل خصائص الفترة التاريخية التي تنتهي إليها، ويتم ذلك إجرائياً باستخراج مجموعة من الكلمات والتعابير التي تحمل مدلولات اجتماعية وأيديولوجية، معتمدة الأدوات الإجرائية التي تُحلل النص الأدبي من الداخل، لكي تصل من خلاله للكشف عن العلاقات الاجتماعية، التي تثبت التماثل الموجود بين البنية الاجتماعية السائدة في فترة تاريخية محددة من جهة ثانية، والبنية اللسانية المتحققة في النّص الأدبي المدروس من جهة أخرى، وعلى هذا المستوى يتجسّد الجانب اللغوي من الوضعية السوسيو لسانية.

6- اللغة كوسيط بين النص والمجتمع

إنّ اللّغة هي البنية الوسيطة الواقعة بين النّص والمجتمع، حيث "إن نقطة البداية لعلم اجتماع النّص، هي الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يتفاعل النّص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة؟" (27) وتُشكل اللّغة باعتبارها مادة للأدب، رابطاً فعلياً بين الأدب والواقع الاجتماعي فيصبح "الخطاب...الأدبي شديد التجانس والقرب من خطاب الحياة العامة، ويُمكن لتحليل العلاقة بينهما أن يكون هو المدخل الملائم الذي يجمع الظاهرتين" (28) وعن وظيفة هذا الاتجاه يقول "بييرزيمّا": "... إن علم اجتماع النّص عليه أن يتجاوز حدود الخطاب الجمالي (الفلسفي) وتقديم المستويات

النصيّة المختلفة كبنى لغوية واجتماعية في نفس الوقت." (29) وهذا يصبح النصّ مجتمعا اعتباريا مصغّرا، وتبحث المقاربة السوسيونصيّة في فضائه الاجتماعي بالبحث عن معناه الاجتماعي، من خلال التركيز على جانبين حسب "بيير زيمّا" و"كلود دوشي" يتمثلان في:

- أهم البنى الاجتماعية التي تحكم المجتمع النصي، وربطها بالمحيط الذي أسهم في إنتاجها، وتؤكد هذه البنيات صعوبة عزل النص عن سياقه الاجتماعي الذي تشكّل فيه.

- أهم الخطابات الاجتماعية التي تُشكّل وقائع أدبية داخل نسيج الرواية، ويتم دراسة الأكثر ورودا فيها، ومن ثم "تحديد طبيعة المستويات اللغوية المتمفصلة إلى لهجات اجتماعية" (30) وكذا دراسة الخطابات الاجتماعية التي تدور حول مجموعة من التيمات المتضمنة في النصّين، وهو ما يُطلق عليه "بيير زيمّا" و"كلود دوشي" بالسوسيو لّهج، الذي يُظهر المواقف الفكرية والأيدولوجية باعتبار النصوص، عالما متشكلا من تعدد الأيدولوجيات، التي تنشأ عبر صراع الطبقات الاجتماعية، وهو ما يشكل الجانب الذي يرتبط فيه الاجتماعي باللغوي؛ الذي يختص بدراسته "علم الدلالة الاجتماعي".

7- اللّهج الاجتماعي لطبقات المجتمع النصّي المتصارعة

إن وصف الوضع اللغوي في النص، يستدعي الوقوف على ما يصدر من طبقات المجتمع النصي من لغة خاصة، تستعملها كل طبقة لتُعبر بها عن أيدولوجيتها، حيث "تواجه تجمعات اجتماعية الواحدة ضد الأخرى، فتتطرق كل منها بما يُترجم عن مصالحتها الاقتصادية..." (31) ويطلق "بيير زيمّا" على "الكلام الذي تنطق به الجماعة التي تتفاعل في وضعية لسانية "لهجا اجتماعيا" (32) ويحدد "زيمّا" الطريقة التي نتعرف بها على اللّهج الاجتماعي على أساس أنه "كلام الفريق الذي يمكن التعرف إليه... وذلك بفضل جدوله المعجمي" (33) إن تحديد اللّهج الاجتماعي لا يتوقف عند حصر الكلمات في مستواها الدلالي السطحي، بل لابد من الاهتمام بمستواها الدلالي العميق المتجسّد في شكل ثنائيات متضادة المعاني، إذ يستمر الصراع قائماً في النصّين في شكل ثنائيات متضادة، تستند إلى

منظومة القيم المتضادة كالعلم والجهل، التطرف والاعتدال ...، والتضاد يتعلق باختلاف معاني الكلمات والعبارات وليس بتمائلها، يحمل أصحابها رؤى مختلفة تُشكل أيديولوجيات متصارعة في المجتمع، وعبر هذا الصراع تتشكل السياقات النصّية البنائية المتعددة، وبما أن النص لا يوجد منفصلاً عن النسيج الاجتماعي الذي أُنتج في سياقه، يأتي "وعي الروائي ليلتقط تلك الأيديولوجيات ويصوغها في شكل تصادمي، ليخلق عملاً محملاً بهذه الرؤى المتصارعة" (34)

8- السوسيو لَهَج (sociolecte) وارتباط الاجتماعي باللغوي

رفض "كلود دوشي" الطرح البنوي الشكلي القائل بانغلاق النصوص واكتفائها بذاتها، وأصبح البحث عن اجتماعية النصّ الروائي هو هدف المنهج السوسيونقدي الذي يأخذ بعين الاعتبار معطيات النّقد الشكلاني، ولكنها تخضع لتكييف جديد... هو تأطير النصوص الشكلانية بطابع اجتماعي" (35) فالمنهج السوسيونقدي هو منهج لتحليل النصوص الأدبية، "يقوم أساساً على اعتبار النصّ الأدبي مجالاً لصراع الأيديولوجيات، فيصبح النصّ وسيلة للتعبير عن هذه الأيديولوجيات، فلا يمكن الكشف عن "الاجتماعي" داخل النص إلا من خلال تحليل الأيديولوجي" (36) وخلافاً للمناهج السابقة: يسعى المنهج السوسيونقدي إلى تجاوز الطرح القائل بمرآوية الأدب، التي تقدّمت بها الدراسات الكلاسيكية التاريخية والاجتماعية والنفسيّة، التي تجعل من الأدب مجرد مرآة للواقع الاجتماعي أو لحياة الأديب، وقد أسّس "كلود دوشي" منهجيته الجديدة التي أطلق عليها اسم "السوسيو نقديّة" (sociocritique)، في مقاله الموسوم بـ (Pour une socio-critique, ou variations sur un incipit) الصادر عام 1971، وقد أعلن في هذا المقال رفضه لانغلاق النصّ الأدبي على نفسه، هذا الانغلاق الذي تدافع عنه البنوية الشكلانية، وطالب بالمقابل بانفتاح النصّ وتَقْصِي آثار "اجتماعية النص" (la socialite du texte) عن طريق التحليل الداخلي للنصوص باستثمار معطيات اللسانيات" (37) وقد أخذت السوسيونقديّة موقعها كمنهج "يستند على الرفض التام لكل المفاهيم التي تختزل دور

النص في البحث عن الشرعية الاجتماعية... وسخر نفسه لدور "الاجتماعي" في النص، وليس لدور النص الاجتماعي (le role du sociale dans le texte, et non au role sociale) (du texte) (38) فيصبح هدف هذا المنهج هو استنباط "اجتماعية" النصوص الأدبية، من خلال دراسة وتحليل الأثر الاجتماعي فيها، و"الاجتماعية" (la socialite) موجودة في النص الذي يقول "الاجتماعي ليس من خلال التيمة فقط، بل من خلال إنشاء خطاب اجتماعي، فيكون الهدف الأساس للمنهج السيو نقدي هو البحث عن " الاجتماعية " في صميم لغة النص، لذلك فإن "الاجتماعية" لا تستنبط من خارج النص؛ أو ما يُعرف بالسياق، بل تكون من داخله، حتى نصل إلى صورة المجتمع في ماضيه وحاضره، من خلال ما تكشفه لنا النصوص (39) ويتجسد البحث عن "الاجتماعية" في النصوص تطبيقيا عند "كلود دوشي" من خلال مفهوم مجتمع النص، وهو المجتمع المنبثق من النص الروائي، كما جاء "بييرتسيما" بمفهوم "المجتمع النصي" (sociotexte) أي المجتمع كبنية داخل النص وليس خارجها، خلافا للنقد السوسيوولوجي للمضامين(*) من خلال التركيز على بنيات مجتمع النص الموجودة داخل الرواية، أهمها البنية الاجتماعية والبنية السياسية والبنية الاقتصادية، التي تعتبر أساس بناء المجتمع النصي، وكذا دراسة الخطابات الاجتماعية التي تدور حول مجموعة من التيمات المتضمنة في النصين، وهو ما يُطلق عليه "بييرتسيما" و"كلود دوشي" بالسوسيو لهج (sociolecte) الذي يظهر من خلاله المواقف الفكرية والأيدولوجية باعتبار النص الأدبي، عالما متشكلا من التعدد الأيدولوجي الذي ينشأ داخل النص عبر صراع الطبقات الاجتماعية، وهذا ما يشكل الجانب الذي يرتبط فيه الاجتماعي باللغوي، وبالتالي الاهتمام بما هو داخل النص.

9- البنيات "السوسيو نصيية"

المقصود بها البنيات الاجتماعية الموجودة داخل النصوص الأدبية، والغرض من ذلك تحليل الأساس الذي يقوم عليه مجتمع الرواية، ويقوم المجتمع النصي على مجموع بنيات: اجتماعية، سياسية، اقتصادية، وهي بنيات داخلية أساسية في بناء مجتمع

الرواية، ويتم تحليل هذه البنيات الاجتماعية من حيث تنظيمها، بالإضافة إلى رصد مجموع الخطابات، التي تعكس مختلف المواقف الفكرية الموجودة في النصوص، فلكل مجتمع نصي خطاب اجتماعي و"تحليل الخطاب الاجتماعي... هو تحليل لصوت الجماعة بتحديد الآراء الغالبة والشائعة" (40) إذ يستند علم اجتماع النص، لربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي، على تقديم العالم الاجتماعي كمجموع لغات جماعية، تُعرف بالخطاب الاجتماعي أو السوسيوولوج (sociolecte) وهو من أهم الآليات التي اشتغل عليها "كلود دوشي" و"بيير زيمّا" وذلك بتعداد أهم الخطابات الاجتماعية التي تدور في مجتمع النصوص، بالبحث في كلام جماعة اجتماعية (41) تتميز بثقافة خاصة. وتسمى طبقات هذه الجماعة الاجتماعية للتعبير عن رؤيتها عبر ممثل يمثّلها لغويا، ويبقى وفيها لسماتها اللغوية، فينتج لهجا خاصا مختلفا يُفصح عن أيديولوجيتها، فيظهر تصنيف المجتمع من خلال تقسيمه إلى طبقات اجتماعية، وكذا من خلال ما يميّز كل فئة من لهج اجتماعي أو سمات لغوية اجتماعية، فيصبح مجتمع النص متكونا من مجموعات اجتماعية مستقلة عن المجتمع الواقعي، ويتم دراسة هذه الطبقات الاجتماعية وتحليل تركيبها، من أجل الوصول إلى استنباط أيديولوجيتها ومشاكلها الاجتماعية عبر المستوى التركيبي.

10- اللهج الاجتماعي كبنية اجتماعية ولسانية من خلال المستوى المعجمي

تظهر اللغة في علم اجتماع النص النزاعات و الصراعات الاجتماعية من خلال "الكلمات التي تصير، على نحو منتظم، رهانات على صراعات اجتماعية... ليست محايدة، وأنّ المتداولين بها لا يستخدمونها في السياق.. النحوي التقني الصّرف" (42) فتصبح المفردة المعجمية وسيلة لإظهار أيديولوجية المجتمع في فترة تاريخية معينة، وهذا المجتمع هو الذي تصوره الرواية من خلال الكلمات، لذلك يعطي "بيير زيمّا" دورا هاما للوحدات المعجمية في النصوص فهي " تتيح للقارئ أن يتعرّف إلى أنواع كلام الفرق كافة ويميّزها... غير أن الخصوصيات والفروق كلّها أشدّ ما تظهر واضحة للعيان في المستوى المعجمي" (43) المتعلّق بالمفردات التي تستعملها كل جماعة، والتي تجعلها تنتهي إلى

مجموعة دلالية معينة، يعطي "بييرزيم" أهمية للمستوى الدلالي لأنّه "المجال الذي تسلك من خلاله المصالح الجماعية، سبيلها عبر اللغة" (44) ويمكن أن نحدد السياق التاريخي الذي أنتجت فيه النصوص، مما يسمح بتحديد بعض سمات البنية السوسيونصية اجتماعيا وأيديولوجيا

تُعتبر الوضعية السوسيو لسانية للنص أهم المقولات الإجرائية للدراسة السوسيونصية، حيث يتم تحليل البنيات السوسيونصية هي البنية الاجتماعية واللّسانية (الإيديولوجية) التي أنتج النص في إطارها، وتهم الدراسة التي تبحث في هذه العلاقة من وجهة نظر سوسيونصية، برصد الصّراعات الاجتماعية ومصالح الجماعات، وكيفية النطق بها على المستوى التركيبي، والمشاكل الاجتماعية والأيديولوجية على مستوى اللّغة السائدة في مرحلة تاريخية معينة، عبر مفرداتها من أجل الوقوف على البني الاجتماعية اللّغوية لعصر ما لأنّ "الموقف اللّغوي يتناسب دائما مع مرحلة تاريخية معينة، ولكل مرحلة لغتها الخاصة" (45) حتى نتعرّف على المجتمع في ماضيه وحاضره من خلال مفهوم مجتمع النص (sociotexte). إن دراسة النصّ بوضعه في إطاره السوسيو لساني، وفق المنهج السوسيونصي، تكون بمعرفة الكيفية التي تعامل بها النص، مع التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع في مرحلة ما، وكيفية تفاعله مع البنية الاجتماعية التي أنتجته.

خاتمة

لقد تأثر الأدب بتطور الدراسات الاجتماعية، مما دفع إلى ارتياد مناهج أخرى أكثر فعالية في دراسة النصوص الأدبية، على أساس التفاعل الموجود بينها وبين المجتمع، منها المنهج السوسيو نصي الذي يعد فيه "بييرزيم" بالنسق الداخلي للنصوص، دون إغفال بعدها الاجتماعي، وهو ما تختلف فيه السوسيونصية عن المناهج النقدية ذات المرجعية الاجتماعية الخالصة كالنقد الماركسي، وهو لا يكتفي بإبراز الجانب المضموني في الأدب، بل يسعى إلى إظهار الأسس الأدبية والاجتماعية واللغوية لفترة تاريخية معينة، من خلال

دراسة الوضعية السوسيولسانية. ويستند علم اجتماع النص الأدبي، لربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي على البنى الاجتماعية واللهجات الجماعية التي يعبرها كلود دوشي كاشفة عن أيديولوجية المجتمع النصي حيث ينطلق من البنية النصية للوصول إلى البنية المجتمعية التي أنتجته.

الهوامش:

- 1- زيماء. ف. بيار، النصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، (تر) أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص9.
- 2- زيماء. ف. بيار، النصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص19.
- 3- Ruth amossy, op cit. La socialite du texte littéraire : de la sociocritique à l'analyse du discours L'exemple de *L'Acacia* de Claude Simon, <http://ressources-socius.info/>, page consultée le 29 avril 2017.
- 4- زيماء بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص8.
- 5- مريبي محمد، مدارات القراءة، تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص130.
- 6- مريبي محمد، المرجع نفسه، ص130.
- 7- زيماء بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص8.
- 8- أحمد الحاج أنيسة، الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي (دراسة في نقد النقد) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2015، 2014، ص40.
- 9- زيماء. ف. بيار، النصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص21، 22.
- 10- أنيسة أحمد الحاج، مرجع سابق، ص29.
- 11- زيماء. ف. بيار، النصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص28.
- 12- سليم بركان، التحليل السوسيو بنائي للخطاب السردي دراسة سوسيو بنائية لروايات أحلام مستغانمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد لين دباغين، سطيف، ص19.
- (*)- السيميولوجيا الاجتماعية (sociosémiotique) من العلوم التي يرى "بيير تسيما" أنها ترفد المنهج السوسيو نصي.
- 13- [Mikhaïl Bakhtine \(N. V. Volochinov\)](http://www.lesminuit.de/editions), Le Marxisme et la philosophie du langage, Essai d'application de la méthode sociologique en linguistique, editions de minuit, <http://www.lesminuit.de/editions>
- 14- غولدمان لوسيان، المرجع نفسه، ص27.
- 15- سليم بركان، مرجع سابق، ص19.
- 16- سليم بركان، المرجع نفسه، ص144.

- 17- زيماف. بيار، النَّصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، (تر)أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص9.
- 18- زيماف. بيار، النَّصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص19.
- 19- زيماف بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص8.
- 20- مريني محمد، مدارات القراءة، تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص130.
- 21- مريني محمد، المرجع نفسه، ص130.
- 22- زيماف بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص8.
- 23- أحمد الحاج أنيسة، الاتجاه الاجتماعي في النَّقد الرَّوائي في المغرب العربي(دراسة في نقد النقد) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2015، 2014 ص40.
- 24- يستثمر المنهج السوسيو نصي بعض المقولات الإجرائية منها: الوضعية السوسيونصية، المجتمع النصي، السوسيوولوج، التناص، الازدواج القيمي، وكلها تساعد على فهم وتأويل لغة الخطاب.
- 25- pierre.v.zemma, mauelle de sociocritique, edition1,picard,1985, p5.
- 26 - بيار زيماف، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ترجمة: عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، باريس، ط1، 1991، ص171.
- 27- زيماف بيير، النَّصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص172.
- 28- فضل صلاح، مناهج النَّقد المعاصر، ص52.
- 29- زيماف بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص171.
- 30- سليم بركان، مرجع سابق، ص158.
- 31- زيماف بيار، النَّصّ والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص53.
- 32- زيماف بيار، المرجع نفسه، ص53.
- 33- نفسه، ص88.
- 34- سعيدة جلايلية، الأيديولوجي والفني مقارنة بنوية تكوينية في روايتي "اليتيم" و"الفريق" لعبد الله العروي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ص12.
- 35- مريني محمد، مرجع سابق، ص130.
- 36- [Adama Samaké](#), Regards croisés sur les écoles de sociocritique <http://www.fabula.org/actualites>, publiée le 18 janvier 2014.
- 37- [Ruth Amossy](#), Entretien avec Claude Duchet, [Analyse du discours et sociocritique](#), 2005 Volume 140 [Numéro 4](#) pp 126, <http://www.persee.fr/doc/litt>.
- 38- Patrick Maurus, Séminaire doctoral de sociocritique, Vendredi 20 Février 2015 - 14:00, <http://www.inalco.fr/>

39- Ruth Amossy, La socialite du texte littéraire : de la sociocritique à l'analyse du discours
L'exemple de *L'Acacia* de Claude Simon, <http://ressources-socius.info/>, page consultée le 29
avril 2017.

(*)- يهتم النقد السوسيولوجي للمضامين، بتحديد موقف المؤلف من الصراع الطبقي، مادام المجتمع يشهد
صراعا طبقيًا، بوصف الفن شكلا من أشكال البنية الفكرية للمجتمع، وبذلك فقد أغفل هذا المنهج الجانب
الجمالي وعلاقته بالدلالة الاجتماعية والأيدولوجية، واكتفى بالمقارنة بين ما هو موجود في الرواية، من أماكن
وشخصيات وما يقابلها في الواقع الخارجي. انظر: سيّد البحرآوي، النقد الاجتماعي، ص 89.

40- نعيمة بولكعيبات، مرجع سابق، ص 97.

41- الجماعة الاجتماعية أو المجموعة الاجتماعية كما يسميها "لوسيان غولدمان"، هي جماعة يعيش أفرادها
وضعا اجتماعيا متشابهًا، أو ينتمون إلى عرف مهني موحد كالقضاة والمحامين...انظر: بول آرون، ألان فيالا،
سوسيولوجيا الأدب، ص 91.

42- زيمًا بيارف، النص والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص 81.80.

43- زيمًا بيارف، النص والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص 81.80.

44- زيمًا بيارف، النص والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ص 82.

45- دودو أبو العيد، مرجع سابق، ص 48.

*** **